المحاضرة الخامسة

قضايا النقد عند الفلاسفة المسلمين

الأستاذان: - داود امحمد

- زروقي عبد القادر

إن الفلاسفة المسلمين قد تأثروا بمن سبقهم من الفلاسفة اليونانيين، إذ تلقفوا الثقافة اليونانية وأفاضوا في تفسيرها والإضافة إليها، ومن جملة ما اهتموا به كتاب الشعر لأرسطو، والذي اهتموا به شرحا وتلخيصا، منذ تجمه إلى العربية متى بن يونس والفلاسفة الذين كان اهتمامهم واضحا بكتاب الشعر لأرسطو هم: الفارابي وابن سينا وابن رشد.

ترجمة مختصرة للفلاسفة:

-1الفارابي: شَيْخُ الفَلْسَفَةِ الحَكِيْمُ، أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ طَرْخَان التُّركِي الفَارَابِي المنطقي، أحد الأذكياء، لَهُ تَصَانِيْفُ مَشْهُوْرَةٌ ... مِنْهَا تخرَّج ابْنُ سينَا، وَقَدْ أَحكَم أَبُو نَصْرٍ العَرَبِيةَ بِالعِرَاقِ، وَلقِي متَّى بنَ يُوْنُسَ صَاحِبَ الْمنطق فَأَخَذَ عَنْهُ، وَسَارَ إِلَى حرَّان فَلزِمَ بِهَا يوحنَّا بن جيْلاَن النَّصْرَانِيّ، وَسَارَ إِلَى مِصْرَ وَسَكَنَ دِمَشْق. وقِيْلَ: إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْملك سَيْفِ الدَّوْلَة بنِ حَمْدَان، وَهْوَ بزِيِّ التُّرك، وَكَانَ فِيْمَا يُقَال: يَعرفُ سَبْعِيْنَ لِسَاناً، فَجَلَسَ فِي صَدْر المَجْلِس، وَأَخَذَ يُنَاظر العُلَمَاءَ فِي فنُوْنٍ، فعلا كَلاَمُه وَبَان فَضْلُه، وَأَنصتُوا لَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُم سَأَلُوهُ: أَأَنت أَعْلَم أَوْ أَرسطو؟ فَقَالَ: لَوْ أَدركْتُه لكُنْتُ أَكْبَرَ تلاَمِذته. وكَانَ مَوْتُه بِدِمَشْقَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلاَثِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ، عَنْ نحوٍ مِنْ ثَمَانِيْنَ سَنَةً.

-2ابْنُ سِيْنَا أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَلْخِيُّ: العَلاَّمَةُ الشَّهِيْرُ، الفَيْلَسُوفُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ فِي الطِّبِّ وَالفَلْسَفَةِ وَالمنطِقِ، قَرَأَ القُرْآنَ وَكَثِيْراً مِنَ الأَدب وَله عشرٌ، ثُمَّ، وأَحكم المَنْطِقَ وَبَرَّز فِي الطِّبِّ، وتعلم الفقه وناظر، وَله سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً. ثُمَّ قَرَأَ جَمِيعَ أَجزَاءِ الفَلْسَفَةِ، وَمَاتَ: بِهَمَذَانَ. سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ. وَلَهُ ثَلاَثٌ وَخمسُوْنَ سَنَة

-3ابن رشد الحفيد: العَلاَّمَةُ. فَيْلَسُوْفُ الوَقْتِ، أَبُو الوَلِيْدِ، مُحَمَّدُ بنُ أَبِي القَاسِمِ أَحْمَدَ ابْنِ شَيْخِ المَالِكِيَّةِ أَبِي الوَلِيْدِ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَحْمَدَ بنِ رُشْدٍ القُرْطُبِيُّ. عرض "المُوَطَّأ" عَلَى أَبِيْهِ، وبرع في الفقه، وأخذ الطب عَنْ أَبِي مَرْوَانَ بن حَزْبُول، ثُمَّ أَقْبَل عَلَى علُوْم الأَوَائِل وَبلاَيَاهُم، حَتَّى صَارَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي ذَلِكَ. قَالَ الأَبَّار: لَمْ يَنشَأْ بِالأَنْدَلُسِ مِثْله كَمَالاً وَعلماً وَفضلاً، وَكَانَ مُتَوَاضِعاً،

مُنْخَفض الجنَاح، يُقَالُ عَنْهُ: إِنَّهُ سوّد فِي مَا أَلّف وَقيّد نَحْواً مِنْ عَشْرَة آلاَف وَرقَة، وَمَال إِلَى علُوْم الحكمَاء، فَكَانَتْ لَهُ فِيْهَا الإِمَامَة. وَكَانَ يُفزَع إِلَى فُتْيَاهُ فِي الطِّبّ، كَمَا يُفزَع إِلَى فُتيَاهُ فِي الفِقْه، مَعَ وَفور العَرَبِيَّة، وَقِيْلَ: كَانَ يَحفظ "دِيْوَان أَبِي تَمَّام"، وَ"المتنبِي".وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيْف: "بدَايَة المُجْتَهِد" فِي الفِقْه، وَ"الكُلِيَّات" فِي الطِّبّ، وَ"مُخْتَصَر المُسْتصفَى" فِي الأُصُوْل، وَمُؤَلَّف فِي العَرَبِيَّة. وَوَلِيَ قَضَاءَ قُرْطُبَة، فَحُمِدَت سيرَته. وَمَاتَ محبوساً بدَاره بِمَرَّاكش

-1الفارابي

مما يلاحظ على الفارابي ما يلي:

إذا كان متى بن يونس في ترجمته للتراجيديا والكوميديا بالمدح والهجاء فإن الفارابي سماهما (طراغوذيا) و (قوموذيا).

استبدل مصطلح (الشعر) بـ (الأقاويل الشعرية) ويعرفها بقوله عنها: "هى التي من شأنها أن تؤلف من أشياء محاكية للأمر الذي فيه القول"

"ويرى أن الأقاويل الشعرية تعتمد على الكذب لأنها تهدف إلى محاكاة الشيء على غير ما هو عليه في الواقع بل على ما يريد الشاعر "

وقد قسم الفارابي الأقاويل الشعرية إلى (**برهانية / جدلية / خطابية / سوفسطائية / شعرية**)

الفارابي صنف المحاكاة إلى نوعين يقول:

"فإن محاكاة الأمور قد تكون بفعل. وقد تكون بقول، فالذي بفعل ضربان: أحدهما أن يحاكي الإنسان بيده شيئا ما، مثل ما يعمل تمثالا لا يحاكي به إنسانا بعينه، أو شيئا غير ذلك، أو يفعل فعلا يحاكي به إنسانا ما أو غير ذلك .

والمحاكاة بقول: هو أن يؤلف القول الذي يصنعه أو يخاطب به من أمور تحاكي الشيء الذي فيه القول، وهو أن يجعل القول دالا على أمور تحاكي ذلك الشيء "

وترى الدكتورة ألفت الروبي انطلاقا من هذه المقولة أن الفارابي أراد أن يقول لنا إن الشعر عند اليونانيين تمثيلي مرتبط بفعل التمثيل و الحركة، أما الشعر عند العرب فهو غنائي مرتبط بالقول والتعبير عن الذات.

لاحظ الفارابي أن اليونانيين ربطوا بين الأغراض الشعرية و الأوزان، وجعلوا لكل غرض مجموعة من الأوزان، فعلى سبيل المثال ذكر الفارابي أن اليونانيين جعلوا للمدح أوزانا، وللهجاء أوزانا.

-2ابن سينا

"يعرف ابن سينا الشعر بقوله: "الشعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية عند العرب مقفاة ومعنى كونها موزونة أن يكون لها إيقاع ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية ومعنى كونها مقفاة هو أن يكون الحرف الذي يختم به كل قول منها واحدا وإنما ينظر المنطقي في الشعر من حيث هو مخيل "

- فالشعر عنده كلام مُخَيِّل ، إضافة إلى التعريف المعروف للشعر على أنه قول موزون ومقفى لكنه لا يقف عند ذلك المفهوم فقط ، بل يذهب إلى جعله (كلاما مخيِّلا)
- وعليه لا يكون الكلام شعرا إلا بما فيه من وزن وقافية خيال
- وإذا كان الكلام مخيلا وليس فيه وزن فهو نثر
- وإذا كان موزونا بغير خيال فهو مجرد نظم

ما هو الكلام المخيل عند ابن سينا؟ يقول " والمخيِّل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور، وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسانياً غير فكري، سواء كان المقول مصدَّقاً به أو غير مصدق. فإن كونه مصدقاً به غير كونه مخيلاً أو غير مخيل: فإنه قد يصدق بقول من الأقوال ولا ينفعل عنه، فإن قيل مرة أخرى وعلى هيئة أخرى انفعلت النفس عنه طاعة للتخييل لا للتصديق فكثيراً ما يؤثر الانفصال ولا يحدث تصديقاً وربما كان المتيقن كذبه مخيلاً " .

كما يفرق ابن سينا بين الشعر والخطابة فيقول: "الشعر يستعمل التخييل والخطابة تستعمل التصديق."

المحاكاة عند ابن سينا: المحاكاة عنده هى : "إيراد مثل الشيء، وليس هو هو، فذلك كما يحاكى الحيوان الطبيعي بصورة ، هي في الظاهر كالطبيعي "

والمحاكاة عند ابن سينا وإنما هي محاكاة الشيء بإحدى طرق ثلاث:

- **إما بأمور موجودة في الحقيقة.**
- **وإما بأمور يقال أنها كانت موجودة.**
- **وإما بأمور ستوجد وتظهر.**

ويقول ابن سينا في هذا الشأن "إن المحاكاة التي تكون بالأمثال و القصص ليس هو هو من الشعر بشيء بل الشعر أن يتعرض لما يكون ممكنا في الأمور وجوده أو لما وجد دخل في الضرورة"

وأوضح ابن سينا أن المحاكاة في الشعر عنده هى الكلام و اللحن و الوزن وأن للمحاكاة تلذذا يقول: "والدليل على فرحهم بالمحاكاة أنهم يسرون بتأمل الصور المنقوشة للحيوانات الكريهة والمتقذر منها ولو شاهدوا أنفسها لتنكبوا عنها"

وتجدر الإشارة هنا إلى قضية هامة جدا وهى أن ابن سينا ذكر لنا في ترجمته لكتاب فن الشعر أن أرسطو كان مقصورا على الأدب اليوناني فقط في حديثه عن الشعر، وعلى ذلك لم يتورط ابن سينا في تطبيقه للشعر فكان يعلم أن كل ما جاء في كتاب الشعر لا يصلح تطبيقه على الشعر العربي

"إذ أكثر ما فيه اقتصاص أشعار ورسوم كانت خاصة بهم ومتعارفة بينهم يغلبهم تعارفهم إياها عن شرحها وبسطها"

ويلمح ابن سينا بدقة الفرق بين الشعر العربي ، والشعر اليوناني على نحو يدل على أنه يعي طبيعة كل منهما ، فيقول في طبيعة الشعر اليوناني:

"و الشعر اليوناني إنما كان يقصد فيه في أكثر الأمر محاكاة الأفعال و الأحوال لا غير "

ويقول في طبيعة الشعر العربي:

"وكانت العرب تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعدبه نحو فعل وانفعال و الثاني للعجب فقط فكانت تشبه كل شيء للتعجب بحسن التشبيه.

وأما اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردعوا بالقول عن فعل وتارة كانوا يفعلون ذلك على سبيل الخطابة وتارة على سبيل الشعر فلذلك كانت المحاكاة الشعرية عندهم مقصورة على الأقاويل و الأحوال والذوات من حيث لها تلك الأفاعيل و الأحوال "

ابن رشد :

- لا يوظف ابن رشد كلمتي: طراغوذيا وقوموذيا مثل الفارابي بل يستعمل كلمتي مديح وهجاء مثل متى بن يونس
- يقسم الشعر كله إلى مدح وهجاء
- يرد كل مصطلح يعجز عن فهمه إلى عادة معروفة في الشعر العربي
- يكثر من إيراد الأمثلة العربية
- فحين يتحدث عن اعتماد بعض الشّعراء أفعالا أو انفعالات إلى أشياء مخترعة يقول : « ومن جيّد ما في هذا الباب للعرب ، وإن لم يكن عن طريق الحث على الفضيلة ، قول الأعشى :

لعمري لقد لاحت عيون نواظر إلى ضوء نار باليفاع تحرّق

تشبّ لمقرورين يصطليانها وبات على النّار النّدى والمحلّق

رضيعي لبان ثدي أمّ تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرّق

- يتوسع في المقارنة فيستعين ببعض الظواهر المعروفة في الشعر الأندلسي حين يتحدث عن اجتماع القول المخيل والوزن واللحن في الشعر.
- يستشهد بالقرآن الكريم